



مجلة اللغة العربية للأبحاث المتخصصة

العدد 1، المجلد 1، كانون الثاني 2015م.

e-ISSN: 2289-8468

النشر: 2013/1/15

القبول: 2012/12/1

الاستلام: 2012/10/2

الوظيفة الدلالية للمورفيمات التركيبية المؤكدة للجملة الاسمية

الحديث القدسيّ أمودجاً (دراسة تركيبية دلالية)

نبال نبيل نزال - علاء الدين أحمد الغرايبة

جامعة الزيتونة

الأردن

to.nibal@yahoo.com

ملخص

يسعى هذا البحث المعنون بـ (الوظيفة الدلالية للمورفيمات التركيبية المؤكدة للجملة الاسمية - الحديث القدسيّ (دراسة تركيبية دلالية)؛ جاهداً الكشف عن دلالة المورفيمات المؤكدة للجملة الاسمية من خلال رصد تلك المورفيمات ووصفها ثم تحليلها ضمن التراكمات الواردة فيه؛ مستنداً إلى فكرة أنه لا يمكن الفصل بين علمي التركيب والوظيفة. فقد عمد البحث لتحقيق ذلك إلى مزج معطيات علم النحو بمعطيات علم المعاني؛ للخروج معهما بدراسة نحوية لتركيب، كما تُعنى بالتحليل، فيما أطلق عليه الجرجاني نظرية (النظم)، وهو: توخي معاني النحو. ومنطلقاً - أي - من فكرة تشومسكي التي تفترض وجود مستويين للبنية التركيبية: بنية عميقة، وبنية سطحية، تربط بينهما علائق تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية التركيبية العميقة؛ لتصل بها إلى البنية السطحية التي تظهر بها الجملة، من المنهج الوصفي التحليلي سبيلاً لذلك.



Abstract

This study entitled The Semantic Function of Structural Morphemes Underlying the Nominal Sentence. The Qudsi (God attributed) Hadith as an example : (A structural – semantic study).

Endeavors to define the semantic value of morphemes that underline the nominal sentence by focusing on these morphemes, defining and analyzing them within the structures where they occur. This attitude emanates from the notion that both structuralism and semantics are indivisible.

The research seeks to achieve this aim by combining the feedbacks of syntax and semantics with a view to achieving a syntactic study concerned with structures as well as analysis, a thing described by Al-Jurjani as the theory of system, which means discovering the meaning of syntax. The research is also based on Chomsky's theory, which assumes the presence of two levels for the sentence, deep structures and surface structures which are joined by transformational relations that work to change one or more aspects of the deep structures to take it up to the surface structures that depict the final form of the sentence. The study has adopted a descriptive analytic approach to achieve this goal.

لقد حولت اهتمامات تشومسكي الدرس اللغوي من وصف مظاهر السلوك اللغوي للمتحدثين وتحليله الى وصف نظام المعرفة العقلية الذي يكمن وراء هذا السلوك، فتطورت بذلك الأسس النظرية والمنهجية لعلم اللغة الحديث، من خلال رفضها معظم المبادئ والأسس التي نادى بها المدرسة الوصفية البنيوية رفضاً نابغاً من منطلقات فلسفية ومعرفية لغوية، مع عرضها بدائل من المبادئ والأسس النظرية والمنهجية لتحليل اللغوي الأكثر توفيقاً⁽ⁱ⁾.

فبعد صدور كتاب تشومسكي (جوانب من نظرية النحو) وظهور مبادئ نظريته النموذجية ظهرت خلافات عميقة بين تشومسكي وزملائه حول استجلاء دور الدلالة في القواعد، وعمّا إذا كان لهذه الدلالة دور في تحديد البنية العميقة للجملة أو في كتابة القوانين النحوية؛ الأمر الذي أدى الى ظهور منهجين: أولهما: يمثل تشومسكي ومؤيدوه، عُرف بـ (الدلالة التأويلية Interpretive Semantic)، ويرى أن التحويلات تغير من المعنى، وأن قوانين التأويل الدلالي يجب أن تعمل على مستوى العميقة ومستوى البنية السطحية للوصول الى التأويل الدلالي الصحيح. أما المنهج الآخر فيمثل المعارضون من تلامذة تشومسكي، ويرى هؤلاء أن التحويلات يجب أن لا تغير من المعنى، ويتصورون بُنى عميقة أكثر تجرداً وعمقاً من تلك التي

تولدها لنا قوانين التركيب، فيما يعرف بـ (الدلالة التوليدية Generative semantic)⁽ⁱⁱ⁾

وتأسيساً على ما سبق؛ فإن تشومسكي يفترض وجود مستويين للبنية التركيبية: بنية عميقة، وبنية سطحية، وترتبط بينهما علاقات تحويلية تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية التركيبية العميقة؛ لتصل بها إلى البنية السطحية التي تظهر بها الجملة⁽ⁱⁱⁱ⁾. فـ (البنية العميقة Deep structure) عند تشومسكي هي البنية المجردة والضمنية التي تُحدد التفسير الدلالي، أو هي بنية شكلية ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمعنى، وليس بالصوت^(iv). فهي بنية ضمنية في ذهن المتكلم أو المستمع ولا تظهر في الكلام، ويتم توليدها عن طريق قواعد الأساس في المكون التركيبي. أما البنية السطحية (surface structure) فهي: "ترتيب الوحدات السطحية الذي يحدد التفسير الصوتي، والذي يرجع الى شكل الكلام العقلي الفيزيائي، والى شكله المقصود والمدرّك"^(v). فهي بذلك تمثل شكل الكلام المنطوق وصوره الممثلة في أصوات لغوية، إنها الناتج السطحي الصوتي المتشكل والمتحوّل عن البنية العميقة نتيجة لتطبيق قوانين تحويلية معينة، فهي ترتبط بالبنية العميقة عن طريق قواعد التحويل وقوانينه. فقواعد الأساس في المكون التركيبي تولّد البنية العميقة في ذهن المتكلم، ثم تقوم القواعد التحويلية بتحويل المكون التركيبي الى بنية سطحية منطوقة يتعامل بها المتكلم مع الآخرين.

لقد أصبح علم اللغة الحديث يولي الاهتمام الأكبر للجملة معطياً الأسبقية والامتياز الأكبر لميدان التركيب، فمناهج التحليل التي أدخلها علماء اللغة، وبصفة خاصة التوزيعية والتحليل بالمكونات المباشرة سمحت بوصف عميق للبنية التركيبية للغة، كما سمحت بتشكيل قضايا التركيب التقليدي من جديد، من مثل قضية الوظائف التركيبية^(vi).

أما مصطلح المورفيم فهو مأخوذ من الكلمة اليونانية (morpheme)، بمعنى شكل أو صيغة، ويقابلها في الإنجليزية (morph)^(vii). وقد نشأ هذا المصطلح مع تحديد اتجاه اللسانيات البنيوية الذي أصبح اتجاهها واضح المعالم والمبادئ. ويعدّ هذا المصطلح في الدراسات الحديثة الرديف المقابل لمفهوم الوحدة الصرفية، فهو صورة من صور المصطلح الغربي المراد

تطبيقه في الدراسات اللغوية على اللغة العربية، الأمر الذي دفع علماء اللغة المحدثين والوصفيين منهم على وجه التحديد إلى إطلاق مصطلح (مورفيم) على المصطلحات التقليدية نحو: الجذر، والأصل، والنهيات التصريفية^(viii)، وعرفوه بأنه أصغر وحدة صرفية ذات معنى على مستوى التركيب^(ix). وقد أصرّ عدد من الباحثين المحدثين بوجوب تسمية المصطلح على غرار المصطلحات الأجنبية الأخرى، فأية محاولة لتعريبه تعدّ مسخاً له^(x). فهو مصطلح عالمي - كما يرى أحمد مختار عمر - قد أقرّه الجمع اللغوي، وقد أدخلوه في حظيرة الكلمات العربية^(xi). فهم وإن اختلفوا في تعريف (مورفيم)؛ وقد ذهبوا فيه مذاهب شتى تبعاً للثقافات المختلفة، إذ استخدم بعضهم مصطلحات خاصة هي عبارة عن جهد شخصي وتأويل فردي^(xii). إلا أنّ الشائع في استخدامه هو مصطلح (مورفيم)؛ ولهذا فقد ارتضى هذا البحث استخدامه.

ويختص المورفيم في دخوله على الاسم والفعل سواء أكان ذلك في دخوله على الأصل (الجذر)، أو بما يلصق بهما، كقولنا من كتب: (كتب، واكتب، وكاتب، وكاتبون، وكتاب، وكتابت،... إلخ). ف(يكتبون) - مثلاً - فعل قد ألحق بمورفيم (ون) للدلالة على الجمع. و(كاتبان) اسم قد ألحق به مورفيم (الألف والنون) للدلالة على النوع والعدد. أم كان ذلك متمثلاً بالحركات التي تلحق الأفعال والأسماء التي تنتج من التغيرات الحركية في البنية العربية حال تعرضها لأي باب من أبواب الصرف^(xiii).

وتعدّ الأدوات المؤكدة الداخلة على الجملة الاسمية من المورفيمات التي تعطي دلالة مقصودة، منتزعة من درس لغوي عام هو (التوكيد). وقد تميزت دراسة مبحث (التوكيد) عند النحويين والبلاغيين، فالتوكيد عند نحاة العربية من التوابع، أي يتبع ما قبله إعراباً. يقول صاحب الألفية^(xiv):

يَتَّبِعُ فِي الإِعْرَابِ الْأَسْمَاءُ الْأَوَّلُ نَعْتُ، وَتَوْكِيدٌ، وَعَطْفٌ، وَبَدَلٌ

فدرسوه وفق الشكل البنائي للجملة، وتبعاً لنظرية العامل. أما البلاغيون فانصبّ اهتمامهم على المعنى والدلالة، إذ وضعوا التوكيد من أضرب الخبر، استناداً إلى ظنّ المخاطب أو المتلقّي عند توجيه الرسالة أو الخطاب إليه، فإذا كان خالي الذهن، أو مصداقاً غير مُنكرٍ، أو غير شاكٍّ، أو غير متردّد، فيكون الخطاب أو الخبر خالياً من التوكيد؛ لأنّ المخاطب متمكّن من نفسه، فلا حاجة للتوكيد. وإذا كان المخاطب شكّاً متردّداً قلقاً غير واثق مما يُقال له فالحاجة للتوكيد مستحسنة؛ لصرف الشكّ عن قلبه، وإبعاد التردّد عن خوالج نفسه. أما إذا كان المخاطب مُنكراً جاحداً غير مُؤمّن فيما يُذكر فلا بدّ لزيادة التوكيد بأكثر من عنصر؛ لقبول الخبر الملقى عليه، وإزالة ما علق في نفسه من شكوك، وإمالة ما خالجه من شبهات^(xv).

وعليه؛ فالتوكيد أساليب منها^(xvi): التوكيد اللفظي؛ أي بتكرار اللفظة المراد توكيدها. والتوكيد المعنوي؛ وذلك بإعادة المؤكّد بألفاظ أخرى، نحو: عين، كلّ، جميع... والتوكيد بالمورفيمات المؤكدة؛ مثل: (إنّ، وأنّ)، و(لكنّ)، و(اللام)، و(ألفاظ القسم)، و(قد)... والتوكيد بأسلوب القصر؛ بدخول (إنما) و(النفى والاستثناء) وغيرها... ولكلّ أسلوب دلالاته المستهدفة، وفق الرسالة أو الخبر المراد إيصاله لذهن المتلقّي، وحالته النفسية. وسيقف البحث عند ما يُنيط بالجملة الاسمية فحسب في الأحاديث القدسيّة مُفصّلاً، وهي المادة التطبيقية للدراسة.

أولاً: التوكيد بمورفيمات التوكيد

تدخل مورفيمات التوكيد (إِنَّ)، و(إِنَّ واللام)، و(أَنَّ)، و(لَكِنَّ) على الجمل فتحولها من صورتها الخبرية العميقة إلى صورة أخرى سطحية مفادها التوكيد؛ وذلك أن عملية التحويل هذه أنتجت جملاً بسيطة مؤكدة؛ حملت في طياتها دلالات أخرى، يمكن أن نستقرئها من خلال السياقات القدسية، كالترغيب والترهيب والإنكار والتقرير... وغيرها من الدلالات التي استخدمها الخطاب القدسي؛ لتتواءم مع نفسية المتلقي أو المخاطب، فتارة يدخل مورفيم واحد، وتارة أخرى يدخل مورفيمان، وأحياناً ثلاثة إلى السياق القدسي؛ تبعاً لحالة المخاطب كما ذكرنا آنفاً.

1) التوكيد بالمورفيم (إِنَّ)

ذهب علماء العربية ^(xvii) إلى أن المورفيم (إِنَّ) يختص بالدخول على الجملة الاسمية، وله الصدارة في الكلام؛ لأنه لا يباشر إلا المبتدأ، ويستعمل للدلالة على توكيد مضمون الجملة، إذا تطلب المقام الخطابي ذلك، «وتنقل الجملة من جملة خبرية من الضرب الأول إلى جملة خبرية تلقى على سمع مَنْ هو على درجة من التردد في تقبل الخبر» ^(xviii).
اتصالات (إِنَّ) تتنوع وفق الأغراض البلاغية المناطة بها، فتتصل أحياناً بالضمير، وأحياناً أخرى بالاسم. ومن خلال تتبع جمل الأحاديث القدسية فقد تبين ما يلي:

(أ) المورفيم (إِنَّ) المتصل بالضمير:

تباينت الضمائر المتصلة (بِأَنَّ) في سياقات الأحاديث القدسية، مع: (ي)، و(نا) المتكلمين، و: (هـ)، (ها)، (هن)، (هم) للغائبين، و: (ك)، و(كم) للمخاطبين، لترسم البنية السطحية المحولة عن البنية العميقة في عملية التأكيد، والغرض من الرسالة المرسله إلى من يُشار إليهم لا غيرهم، وجاءت الضمائر لتكلم لتؤلف بين ما تصدرت به الجملة بدخول المورفيم الدال على التأكيد (إِنَّ) بالخبر المراد إيصاله، فلولاها لما سبك الكلام، ولما ائتلف تركيب الجملة المحولة، ومنها ما نسوقه في الآتي:

• المورفيم (إِنَّ) المتصل بالضمير (ي):

ومن شواهد في الأحاديث القدسية قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:
«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ -عليه السلام- فقال: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا، فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ/ فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» ^(xix). وعليه؛ فإن الجمل الشاهدة في الحديث القدسي السابق هي:

- «إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ» جملة سطحية → --- (أنا محب فُلَانًا فأحبّه) جملة عميقة

- «إِنِّي قَدْ بَغِضْتُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ» جملة سطحية → --- (أنا مبغض فُلَانًا فأبغضه) جملة عميقة

كما ورد المورفيم (إِنَّ) المتصل بالضمير (ي) في حديث قدسي آخر: (يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي)، وتحليله:

- «عبادي: إِنِّي حَزَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(xx) جملة سطحية → ---- (أنا محرم الظلم...) جملة عميقة.

وجاء المورفيم (إنّ) متصلاً بالمورفيم (ي) في حديث (فضل الذكر) لأولئك المؤمنين الذين تنتزل عليهم الملائكة، فيسألهم رب العزة عن أحوالهم، وماذا يطلبون، ومم يتعوذون، فيقال: يطلبون الجنة، ويتعوذون من النار، فيقول جلّ علاه:

- «إِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(xxi) جملة سطحية → ---- (أنا مُشهدكم...) جملة عميقة

إن التراكيب البنيوية العميقة السابقة تتجه قبل عملية التحويل والزيادة إلى الإخبار عن أمور قد تجعل المتلقي يشك في درجة صحتها، وهي: محبة الله لعبده، أو بغضه له، وتحريم الظلم على الله وعلى عباده، وإشهاد الخلق بالمغفرة لهم؛ فحينئذ تتساءل نفس المتكلم: كيف لله تعالى أن يحب فلاناً أو يبغضه، وهو الذي خلقه؟ وكيف يُحرّم الظلم، والإنسان يظلم، ويكرر الظلم؟ وكيف يغفر الله ذنوب المسيئين؟

لكي تحقق الرسائل مضمونها للمتلقي، وهي: الترغيب والترهيب والإنذار، فقد تصدرت هذه الأخبار بـ(إن)، وضمير المتكلم (أنا) الذي حوّل إلى (ني)؛ ليؤكد أن مصدر الخبر هو الذات الإلهية لا غيرها، ويبعد عن المتلقي أدنى شك في صحة الخبر.

• المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (نا):

ومن الأمثلة على هذا التركيب قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

- «إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي...» جملة سطحية → ---- (نحن سمعنا منادياً...) جملة عميقة

إن خبر سماع المنادي يوم البعث -على لسان الأشهاد الذين ينادي عليهم المنادي؛ حتى يلحق كل فريق بما كانوا يعبدونه في دنياهم-: «إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي، لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ»^(xxii) فجاء على لسان المتكلمين (نحن) المحولة إلى (نا)، ؛ لتدعم الخبر بأننا جميعاً الذين سمعوا، ولم يُستشّر منا أحد، ولتقوية الخبر في ذهن المتلقي جاء المورفيم (إن)؛ لكي لا يدع مجالاً للشك في مثل هذا الخبر، فلو كانت الجملة على ما هي عليه في بنيتها العميقة: (نحن سامعون منادياً) لما أدت وظيفتها الدلالية في تثبيت الخبر وتقويته وتأكيده، كما أدتها الجملة السطحية بوجود (إن).

• المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (الهاء):

ومن الأمثلة على هذا التركيب قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

- «إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»^(xxiii) جملة سطحية → ---- (هو تَوَّاب) جملة عميقة

- «إِنَّهُ قَدْ تَمَّاهِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ»^(xxiv) جملة سطحية → ---- (هو ناهيني...) جملة عميقة

نلمس دلالة الترغيب والتحبب من الخبر المرسل: «إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» في السياق القدسي على لسان خير البشرية محمد صلوات الله عليه الذي كان يُكثر من التسبيح والاستغفار، فسُئل عن السبب، فأجاب بأن الله أخبره بأنه سيرى علامة في أمته، فإذا رآها عليه أن يُكثر منهما؛ أي التسبيح والاستغفار، وقد رآها في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(xxv). كما نلمس في قوله: (كان تواباً) الفعل الدال على الاستمرارية في قبول التوبة مقابل الكم الهائل من المعاصي، وقد دخل الضمير - ضمير الشأن - (له) الحول عن

(هو)؛ ليشير إلى الذات الإلهية في الجملة العميقة: (كان تواباً)، وقد التحم مع المورفيم (إنّ)؛ لينبني تركيب الجملة السطحية على النحو الآتي: «إنّ كان تواباً»؛ فأنزل المتلقي هنا مقام السائل الذي يسأل عن التوبة بعد عمل الذنب: أيقبل الله توبتي، بعد ضالّتي؟ فكان الجواب مع دخول (إنّ)، وضمير الشأن الذي يسبك المورفيم المؤكد قبله مع الخبر بعده؛ ليدفع التردد عن المتلقي في طلب الاستتواب الدائم.

أما قوله: «إنّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ»^(xxvi) فقد جاء القول على لسان آدم -عليه السلام- في حديث الشفاعة، ردّاً على الذين أتوه يوم القيامة طالبين شفاعته، فردّهم، وطلب منهم الذهاب إلى غيره من الشفعاء؛ لاعتقاده بأنّ الله عز وجلّ قد غضب غضباً لم يغضب قبْلَهُ مثله، وهو قد اقترف ذنباً قد لا يغفر، لذا قال: «إنّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي». ^(xxvii) تكشف الرسالة عن الإقرار بالمعصية بعد النهي عن أكل الشجرة، واعتراف آدم -عليه السلام- بأنّ مَنْ نَهَاهُ عن الشجرة هو الله ذاته، فجاءت رسالة المتكلم مستخدمة تأكيدات متتالية، أولهما ما تصدر الكلام به بـ(إنّ) الدالة على التوكيد، وثانيهما ضمير الشأن(هُ) المحول عن (هو)، والثالث دخول (قد) على الفعل الماضي الدالة على تحقيق الأمر.

إننا لو أمعنا النظر في الجملة العميقة قبل عملية التحويل في حالتها الأولى، أي قبل دخول الزيادة إليها: (الله ناهيني عن الشجرة)؛ لتبيّن أنّها تحوي مضمون التأكيد على دلالة الرسالة بالجملة الاسمية، وزاد في توكيدها وجود التوكيدات المتعاقبة في بنيتها، لا سيما دخول (إنّ)؛ فدخولها دفع الجملة إلى تحويلها من دلالة خبرية اعتيادية إلى دلالة تأكيدية، أفادت الإقرار بالنهي القطعي.

• المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (ها)

ومن الشواهد على مثل هذا التركيب قوله -صلى الله عليه وسلم-:

- «إِنَّمَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ»^(xxviii) جملة سطحية → ---- (هي مثل شوك السعدان) جملة عميقة

- «...فَإِنَّمَا تَحِيَّتُكَ، وَحَيَّةٌ ذُرِّيَّتُكَ...»^(xxix) جملة سطحية → ---- (هي تحييتك) جملة عميقة

احتوت كلّ جملة سطحية مما سبق ذكره على تأكيدين، هما: (إنّ)، و(ها) ضمير الشأن المحوّل عن (هي)، وهما رسالتان أفادت أولاهما: التحذير والتخويف من كلاليب جهنّم التي تشبه نوعاً من الأشواك الكريهة، يقال لها شوك السعدان. وأفادت الأخرى الترغيب في نشر التحية، وهي: السلام عليكم ورحمة الله، في الحديث القدسي: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طَوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحْيُونَكَ، فَإِنَّمَا تَحِيَّتُكَ، وَحَيَّةٌ ذُرِّيَّتُكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فزادوه (ورحمة الله)»^(xxx). فلو جاءتا بالتركيب العميق قبل التحويل، وقبل دخول(إنّ)، و(ها) لأفادت الإخبار فحسب عن: (الكلاليب مثل الشوك) في الجملة الأولى، و(هي تحييتك) في الجملة الثانية؛ ولما أفادت الغرض من وراء الرسالتين، فأنزلت المتلقي مقام المتردد في قبول أو تصديق فحواهما؛ لذا ألزمت المخاطب باستخدام (إنّ) لتأكيد الخبرين المطلوبين.

• المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (هم):

أما الأمثلة على هذا التركيب فقوله -صلى الله عليه وسلم-:

- «...فإنَّهْم لا يَمُوتُونَ فيها» (xxxix) جملة سطحية → --- (هم لا يموتون/ أحياء) جملة عميقة

- «يا مُحَمَّد، إِنَّهِنَّ صَلَّاتُ خَمْس، كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ...» (xxxii) → --- (هنَّ صلوات خمس) جملة عميقة.

إننا لو عقدنا المقارنة بين الجملتين: العميقة، والمحولة عنها في التركيبين المتقابلين الآنفين الذكر؛ لتبين أن الجملة العميقة في واقعها الخبري لا تفيد مضمون الخطاب المقصود، ذلك أن وقع الخبر في الجملة العميقة: (هم لا يموتون فيها) يفيد أنهم أحياء ليس إلا، فهي تنفي عنهم فعل الموت، جملة إخبارية، بينما ظهرت الدلالة المقصودة من وراء الجملة السطحية: «إنَّهْم لا يَمُوتُونَ فيها»، وهي الوعيد والتحذير اللذان سيقابلا أولئكم، فلا موت في الدار الآخرة؛ لذا عليهم أن يحذروا فثمة ما يوعدون، في السياق القدسي: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهْم لا يَمُوتُونَ فيها، ولا يَحْيَوْنَ...» (xxxiii)، فهذا التحويل الملموس من الدلالة الإخبارية إلى الدلالة الوعيدية ساقه وجود المورفيم المؤكِّد (إنَّ)، وعضده ضمير الشأن (هم).

أما قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّهِنَّ صَلَّاتُ خَمْس» فهي جملة سطحية محولة عن (هنَّ صلوات خمس)، وقد ألقت الجملة العميقة خطابها بحقيقة ثابتة للعيان، أما دخول المورفيم (إنَّ) على الجملة بعد التحويل والزيادة؛ فلا اعتبار أن المتلقي شاك في حقيقة عدد الصلوات المفروضة في اليوم واللييلة، فأرادت الرسالة إيصال خبر مؤكد، لا ريب فيه. ومن أمثلته كذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-:

- «إِنَّكَ لا تُظْلَم...» (xxxiv) جملة سطحية → --- (لا تُظلم) جملة عميقة

- «إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» (xxxv) جملة سطحية → --- (أنتم تخطئون) جملة عميقة

«إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللَّهِ خُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا» (xxxvi) جملة سطحية → --- (أنتم تحشرون) جملة عميقة

يكشف المشهد الأول عن محاسبة الله للعبد، ومدَّ سجلاته أمامه، واعتراف العبد بما اقترف، فيسأله المولى -عزَّ علاه-: «أَفَلْكَ عُذْرٌ؟ فيقول: لا ياربِّ، فيقول: بلى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليومَ، فَتُخْرِجُ بِطَاقَةً، فيها أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فيقول: أَحْضِرْ وَزَنِّكَ، فيقول: يا رَبِّ، ما هذه البِطَاقَةُ معَ هذه السَّجَلاتِ؟ فقال: إِنَّكَ لا تُظْلَم، فقال: فَتَوْضَعُ السَّجَلاتِ في كَفَّةٍ، والبِطَاقَةُ في كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السَّجَلاتِ، وَثَقُلَتْ البِطَاقَةُ، فلا يُثْقَلُ مع اسمِ اللَّهِ أَحَدٌ» (xxxvii). فبعد السؤال والحوار يأتي الجواب بالجملة السطحية المؤكدة بـ: «إِنَّكَ لا تُظْلَم»

وفي قوله: «يا عبادي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي، أَعْفِرْ لَكُمْ» (xxxviii) يكشف المشهد عن تأكيد الله تعالى لعباده.

في حين جاء الحديث القدسي الثاني: «إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» في الحشر وأهواله: «إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللَّهِ خُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا» (xxxix)؛ ولتصوير مشاهد يوم القيامة.

إن هذه الدلالات المثبوتة: الطمأنة بعدم الظلم، وإقرار حقيقة البشرية الخطاءة ليل نهار، وحشر الناس في ذلكم اليوم العصيب حفاة عراة، وردت في إخبارات قد تدفع بنفس المتلقي إلى الشك في رسالة المتكلم، وعدم اليقين من صحة الخبر، أو التردد في تصديق رسالته؛ لذلك فإن المرسل أحدث تحويلاً في البنية التركيبية للجملة العميقة، فاستخدم مورفيم التوكيد (إنَّ) لتحويلها

إلى البنية السطحية؛ وذلك تدعيماً لمضمون رسالته، وقطعاً عن المتلقى أدنى شك في تحقيق الغرض الدلالي لرسالته، سواء أكانت هذه الرسالة تفيد الطمأنة أو المراقبة أو الوعيد.

وعليه؛ كان لا بد من وسيلة تنتزع الشكوك من نفس المتلقي؛ حتى يتم تحقيق مقصد الرسالة، ودلالاتها البيانية، وقران (إن) بضميري الخطاب (ك) المحوّل عن (أنت)، و(كم) المحوّل عن (أنتم)، لتلتحم عناصر الجملة بأنّ مع الخبر وليزيد التأكيد على مضمون الرسالة بأن الخطاب لك أنت لا غيرك، ولكم أنتم لا غيركم.

(ب) المورفيم (إنّ) الداخل على الاسم الظاهر:

يدخل المورفيم (إنّ) على الاسم^(xi) في سياقات قدسية كثيرة، منها:

- «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ، قَرِيباً مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ»^(xii) → --- (دجالون

كذابين بين يدي الساعة كلّهم يزعم أنه نبيّ) جملة عميقة

وذلكم في معرض الحديث عن الفتن التي تلحق الناس في آخر الزمان، قبيل القيامة، ومنها ظهور الدجالين، وعددهم قرابة ثلاثين، يزعمون أنهم أنبياء.

- «إِنَّ لِي عَبْدًا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ... هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ» (أي من موسى عليه السلام)^(xiii) جملة سطحية ---

→ (عبد لي هو أعلم منك) جملة عميقة

طلب المولى عزّ علاه من موسى -عليه السلام- أن يذهب إلى مجمع البحرين، ويلتقي بمن هو أعلم منه؛ وذلك تأنيباً وتأديباً للنبيّ بادعائه أنه هو أعلم من في الأرض، عندما سأله أحد بني إسرائيل عن أعلم أهل الأرض.

- «إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ مَاءٌ وَنَارًا...»^(xiv) جملة سطحية → --- (خروج ماء ونار مع ظهور الدجال)

جملة عميقة

ظهور الدجال علامة من علامات الساعة، وكان الحديث في معرض تنبيه الناس إلى خروج الدجال وبين يديه الماء والنار، وتكملة الحديث: «فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسَ أَهْمًا النَّارُ، فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسَ أَهْمًا مَاءً بَارِدٌ، فَنَارٌ تَحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقْعْ فِي الَّذِي يَرَى أَهْمًا نَارًا، فَإِنَّهُ عَذَّبٌ بَارِدٌ»^(xv)

- «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ...»^(xvi) جملة سطحية >---- (أول الحساب... الصلاة)

جملة عميقة

تنبيه إلى منزلة الصلاة، فإن صلحت فنجح ونجى وأفلح، وإن فسدت خاب وخسر، فهي من أهم عبادات وأعمال البشر، وهي أول عمل يحاسب العبد عليها من أعماله.

- «إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجَابَ دُعَائِي وَعَقَّرَ لَأُمِّي، أَخَذَ التُّرَابَ، فَجَعَلَ يَحْتُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ» (xlii) جملة سطحية → ---- (عدو الله إبليس أخذ التراب، حاث رأسه...) جملة عميقة

عشية عرفة دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمته بالمغفرة، فكان لإبليس ذاك الموقف، كارهاً مقهوراً ممتنعاً بأن يُغفر لأمة محمد -صلوات الله عليه- فضحك الرسول مما فعل، فسأله أصحابه عن سرّ ضحكه في ذلك، فأجابهم مؤكداً ونافياً استبعاد مثل هذا الخبر.

- «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُخْرِقَتْ...» (xlvii) جملة سطحية → ---- (نبي قرصته نملة) جملة عميقة

في هذا الحديث استنكار وعتاب من الله تعالى إلى النبي المتأدّي من قرصة نملة، دفعته إلى إحراق قرية نمل عن بكرة أبيها، فأوحى الله إلى ذلكم النبي قائلاً: «أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ؟» (xlviii)

- «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» (xlix) جملة سطحية → ---- (الكافر كاره لقاء الله...) جملة عميقة

ثمة تبشير من الودود تعالى إلى أولئك الذين استعدوا للقائه، وأحبّوه، فكان الجزء من جنس العمل، بأن أحبّ الله لقاءهم كذلك، بالمقابل ثمة تبشير تهكمي لأولئك الذين كرهوا لقاء خالقهم، ولم يستعدوا له، بل كانوا يتجاهلون، فكانت النتيجة المماثلة، بأن ربّ العزة والجبروت قد صرفهم عن محبته، فهم ليسوا أهلاً لها، ولا جديرين باستحقاقها.

المؤكدات في الجمل السطحية المحولة في السياقات آنفة الذكر هي: دجالون، عبد، وماء نار، وعدو الله إبليس، ونبي، والكافر، وهي عناصر تركيبية قد أخبر عنها بأخبار تحتاج إلى تأكيد لها، فلو تأملنا السياقات قبل التحويل في الجمل العميقة المقابلة للجمل السطحية لفهم منها أن أخبارها ليست حقائق مطلقة في ذهن المتلقي، فالزعم بالنبوة، ووجود عبد أكثر علماً من موسى النبي، وظهور الدجال بخروج الماء والنار في آخر الزمان، وحشي إبليس التراب على رأسه، وأول محاسبة العبد صلاته، وقرص النملة لنبي من الأنبياء دفعته إلى حرق قريتها، وكرهية الكافر ملاقة ربه، أخبار تدفع بالمتلقي إلى الظنّ بصدقها، والتشكيك فيها، وأن المخاطب له هدف لرسالته في إيصاله، فجرت عملية التحويل والزيادة بدخول المورفيم (إن)؛ لتأكيد ما ورد في هذه الإخبارات، وتثبيت الدلالات المقصودة التي تتضح من السياقات في الجمل السطحية، وهي: التعليل، والحصر، والتنبيه، واستبعاد غرابة الخبر، والتأكيد على الاستنكار والعتاب، والتهكم والتجاهل.

(ج) التوكيد بالمورفيمين (إن) و(اللام):

ورد عند أغلب نحاة العربية أن (اللام) تستعمل للدلالة على التوكيد، وهو تحقيق معنى الجملة وإزالة الشك⁽¹⁾، وإن تعددت تسمياتها⁽²⁾، وقابل النحاة والمفسرون بين (اللام) و(الباء) الدالتين على التوكيد، بقول الرماني: «(فالباء) بإزاء (اللام)، و(ما)

بإزاء (إن)» (iii). ويرى صاحب البرهان أن «(الباء) في خبر (ما) و(ليس) للدلالة على تأكيد النفي، و(اللام) للدلالة على تأكيد الإيجاب.» (iii) نحو ما جاء في قوله عز وعلا: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (iv) تأكيداً على الإثبات، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (v) تأكيداً على النفي. ف(اللام) تؤكد الجزء الذي تدخل عليه، وتلتصق به، مبتدأ كان أو خبراً (vi)، فإذا أكدنا واحداً من هذين الجزأين أكدنا مضمون الجملة؛ لأن التوكيد تقوية الإسناد بين الركنين. ويرى الجرجاني (vii) أنه إذا كان المتلقي منكراً لما يقال له؛ فإن الحاجة إلى التوكيد أشد؛ لأنه أحوج إلى الزيادة في تثبيت الخبر. وقد ثبت وجود المورفيمين المؤكدين (إن) و(اللام) في أمثلة كثيرة من الجمل القدسية نأخذ على سبيل التمثيل قوله -صلوات الله عليه-:

- «إِنَّ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتُ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الَّذِي أَضْحَكَكَ؟» (viii) جملة سطحية → --- (هذه ساعة ما

تضحك فيها) جملة عميقة

هو مشهد يكشف عن تعجب الصحابة واستغرابهم من ضحك الرسول -صلى الله عليه وسلم- في وقت لاداعي فيه إلى الضحك، ولا من عادة النبي أن يضحك إلا لمناسبة.

- ومنه قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ السَّقَطَ لِيرَاغِمُ رَبِّهِ إِذَا أَذْخَلَ أَبْوَيْهِ النَّارَ...» (ix) جملة سطحية ---

→ (السقط يراغم ربه) جملة عميقة

وهو في باب من جاء فيمن أصيب بسقط، فيقال له: «أَيُّهَا السَّقَطُ المِرَاغِمُ رَبُّهُ إِذَا أَذْخَلَ أَبْوَيْكَ الْجَنَّةَ، فَيَجْرُهَا بِسَرَرِهِ حَتَّى يُدْخِلَهُمَا الْجَنَّةَ» (xi)

- ومنه قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ

تُنْكِرُهُ؟» (xii) جملة سطحية → --- جملة عميقة

وفيه محاسبة الله عبده بتوجيه السؤال منه عز وجل إلى العبد من غير وسائط، عن الامتناع عن إنكار المنكر في الدنيا، ليرد العبد في قوله: «يَا رَبِّ، رَحْمَتُكَ وَفَرَقْتُ النَّاسَ -أي خفت الناس-» (xiii)

- ومثاله قوله -عليه السلام-: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا (أي أمة محمد عليه السلام) رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ... ثَلَاثَ أَهْلِ

الْجَنَّةِ... شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (xiv) «نُصِفَ أَهْلُ الْجَنَّةِ» (xv) جملة سطحية → --- (أرجو كونكم ربع أو ثلث أو

نصف أهل الجنة) جملة عميقة

وهو كلام يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج من ذريتك بعثاً إلى النار؛ أي واحد من كل ألف، أو تسعمائة وتسعة وتسعين، فرجا الرسول محمد -صلوات الله عليه- أن تكون أمة ربع أهل الجنة أو ثلثها أو شطرها أو نصفها.

- ومنه قوله: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً...» (xvi) جملة سطحية ---

→ (أنا أعلم...) جملة عميقة

وهو حديث عن علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بآخر أهل النار خروجا، وآخر أهل الجنة دخولا.

لقد ساق المورفيمان المؤكدان (إن) و(اللام) الجمل السطحية بعد عملية التحويل إلى دلالات مختلفة عن تلك الدلالة الخبرية في جملها العميقة، فالتعجب في الحديث الأول بدا جلياً من ضحك الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ساعة ليست ساعة ضحك، ودلالة التوبيخ ملموسة من مراغمة السقط ربّه في الحديث الثاني، ثم ارتسمت دلالة التقرير في توجيه السؤال المباشر من الخالق لعبده، عن عدم منع المنكر وقت رؤيته في الحديث الثالث، أما دلالة الرجاء فأتضحت من تمنّي محمد -صلى الله عليه وسلم- بأن تكون أمته ربع أهل الجنة أو ثلثها أو نصفها مقابل جميع أمم الأنبياء التي سبقتها في الحديث الرابع، ويفصح الحديث الخامس عن معرفته صلى الله عليه وسلم بآخر أهل النار خروجا، وآخر أهل الجنة دخولا دلالة على التيقن مما يعلمه. وقد حملت الرسائل أو الإخبارات تلكم في طياتها خطباً جليلاً، وكانت أعظم من أن يصدّقه المتلقي، فعمول معاملة المنكر لها، وأنه لن يصدق رسالة المرسل بل سينكرها، ويكفر بفحواها، وإذا أدخل مورفيم التوكيد (إن) فحسب فلن تأتي الرسالة أكلها إيتاء بيّناً، ولن يوصل المخاطب هدف خطابه، وسيبقى المتلقي في شك وإنكار؛ لذا قام المخاطب بإدخال المورفيم المؤكّد الآخر وهو (اللام) بالإضافة إلى (إن)؛ ليقطع ما يحيك في صدر المتلقي من ظنون، ويحقق الغرض الدلالي من رسالته، سواء أكانت هذه الرسالة تفيد التعجب أو الرجاء أو التفضيل ... وغيرها من الأغراض المقصودة التي تبين؛ لو جاءت على وضعيتها الأولى قبل عمليتي الزيادة والتحويل في حالتها الخبرية التي كانت على حالها في الجمل العميقة

(د) التوكيد بالمورفيم (أن) الداخل على الاسم الظاهر:

يعدّ المورفيم (أن) شكلاً آخر من أشكال المورفيم (إن)، له موقعه الخاصّة في السياق، كما لـ(أن) موقعه كذلك، وكلاهما يحولان الجملة من وظيفتها الإخبارية إلى وظيفتها التأكيدية؛ لإزالة الشكّ أو الإنكار، أو إثبات حقيقة، أو تأكيد مقولة. ومن بعض تجلياتها في السياقات اتصالها بأفعال العلم والظنّ، واتصالها بالسياق الشرطيّ، والسياق الاستفهاميّ، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-:

«عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ... اْعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ.» (ixvii) جملة سطحية → ----
(علم العبد له رباً) جملة عميقة

إنه الإقرار بالذنب، والعلم بالرب الغفور، فهما عملان جزاؤهما المغفرة، في ظل تكرار الذنب أو المعصية، فكلما عاد الرجل إلى الاعتراف بما اقترفت يده، وعاد إلى مولاه، فإنه يجد الله في كلّ مرة قد غفر له.

ومن قوله -عليه السلام-: «أَفْظَنْتَ أَنْكَ مُلَاقِي؟» (ixviii) جملة سطحية → ---- (أنت ملاقي) جملة عميقة
إنه مشهد يكشف عن لقاء العبد ربّه يوم القيامة، فيسأله رب العزة: ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل...؟ فيعترف العبد بذلك، ويقرّ. ثم يتوجه له بالسؤال مرة أخرى يسأله عن ظنّه بملاقاة ربه يوم الدين، ليعترف العبد المنكر ويقول: لا؛ لذا يردّ عليه بأنه ينساه اليوم كما نسيه في الدنيا، فالجزء من جنس العمل، لم يجعل المنكر لله قدراً وشأناً ومكانة، ومن ثم فللجاحد المنكر مثلما فعل.

ومن قوله: «لَوْ أَنَّهُمْ (أي: أهل الذكر) رَأَوْهَا (أي: الجنة) كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا...» (ixix) جملة سطحية → ----
(لو رأوها فهم أشد عليها حرصاً) جملة عميقة

هو حديث يفصح عن حوار بين الله تعالى وملائكته، وفيه يطمئن الله تعالى على عباده وأحوالهم من سؤال ملائكته السيّارة المتعاقبة بين الليل والنهار، فيصفون أهل الذكر بأنهم يسبحون الله ويحمدونه ويمجّدونه، ويسألونه الجنة، ويتعوّذون من جهنّم، وفي كلّ إجابة يسألهم العزيز تعالى: هل رأوني؟ هل رأوا الجنة؟ هل رأوا النار؟ وهو أعرف بأحوالهم، فيجيبون بالنفي، ثم يقول جلّ علاه: فكيف لو رأوني؟ وكيف لو رأوها؟ وهكذا... فتقول الملائكة: لكانوا أشدّ لك عبادة وذكرًا...

إننا لو قارنا بين البنية العميقة المحوّلة للجملة (علم العبد له ربّاً) في الحديث الأول وبين جملتها السطحية وهي: (فعلِمَ أنّ له ربّاً يغفر الذنب...؟) سنجد أنّ العلم فعل حسيّ يقينيّ، والخبر عنه وجود ربّ متصف بالمغفرة، وهذا أمر حقيقي لا ريب فيه، فالله يغفر ذنب عبده كلما آب إليه واستغفره، كما نجد أنّ: المورفيم (أنّ) باتصاله بفعل (العلم) قد ربط ما قبله بما بعده؛ ليأثف التركيب ويصبح في سبك واحد، فيحقق المطلوب وهو إبعاد الظنّ عن ذهن المتلقي، فهو مورفيم دلاليّ، جاء ليؤكد حقيقة، ويثبتها في ذهن المتلقي؛ لإفادة التشويق والترغيب.

وإن جملة: (أفطننت أنّك مُلاقِيّ؟) في الحديث الثاني هي جملة محوّلة تصدّرت بحرف استفهام، تلاه حدث يفيد الظنّ، ومن ثمّ الإخبار عن ملاقاته الله عزّ وعلا، فالفعل (ظننت) يعبر عن حدث لم يكن يتوقّعه المتلقي، ومورفيم الاستفهام جاء يطلب التصديق لهذا الظنّ، فربط المورفيم (أن) الاستفهام وفعل الظنّ بما بعده في سياق أفاد التقرّيع من الرب للعبد، والتقرير من العبد بأن ما يحدث له يوم القيامة يسير على خلاف ما توقع.

وفي حديث السياق الشرطي في الماضي: (لو أنهم رأوها -الجنة- لكانوا أشدّ عليها حرصاً...) أفاد المورفيم (لو) القطع بانتفائه لانتفاء جوابه أو جزائه؛ فانتفاء رؤيتهم للجنة انتفى حرصهم عليها، والرؤيا هنا ليست الرؤية الحقيقية، إنّما الرؤية اليقينية أو القلبية، ولكي لا يكون ثمة مجالاً للشكّ في الانتفائين برزت (أن) و(اللام) للتوكيد؛ أي لإبعاد الإنكار من ذهن المتلقي، وإنزال الخبر منزلة اليقين.

هـ) التوكيد بالمورفيم (كأنّ) الداخِل على الاسم الظاهر:

أصل المورفيم (كأنّ) عند علماء العربية^(lxx): (أنّ) أدخل عليها (كاف) التشبيه، والأصل في هذه (الكاف) أن تكون مؤخّرة؛ أي متصلة بالخبر، ورأوا أن (كأنّ) يفيد التشبيه والتوكيد والجدد والتمني والظن والتقريب^(lxxi)، يدخل على الجملة الاسمية بحيث يربط بين جملتين سابقة لها ولاحقة بها؛ لإجراء الهدف من رسالة المخاطب. فإن جاء للتشبيه فهو يربط بين المشبه والمشبه به للتأكيد على أن ذاك يشبه هذا، فإذا حذف المورفيم (كأنّ) من الجملة أضحت جملة خبرية تبين حقيقة ما للمتلقي الذي أنزل منزلة المتيقن منها.

ومن الأمثلة الشاهدة على هذا التركيب قوله -صلوات الله وسلامه عليه-:

- «فِيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ^(lxxii)، كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ، يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضاً^(lxxiii)» جملة سطحية → -----(النار سراب) جملة عميقة

- وقوله: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ^(lxxiv)» جملة سطحية → -----(جهنم سراب) جملة عميقة

- وقوله: «فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمُ اللَّؤْلُؤُ»^(lxxv) جملة سطحية → --- (هم اللؤلؤ) جملة عميقة

لو أنعمنا النظر في الجمل آنفة الذكر قبل عملية التحويل وبعدها؛ أي قبل دخول (كأن)؛ سنلاحظ أن المورفيم (كأن) له وقع خاص في الجمل السطحية، وهو التأكيد بعد التشبيه لذلك المتلقي الذي عومل معاملة الشاك من صحة الخبر، فأوتيت له المؤكدات؛ لصرف الشاك عنه.

ذلك أن الإخبار عن جهنم أو النار - التي يحشر بها الخلق يوم المحشر - في الحديث الأول والثاني وتشبيهها بسراب قد دفع المخاطب لاستخدام أسلوب الإخبار بأكثر من مؤكد: المورفيم (أن)، ومورفيم (كاف التشبيه)، ومورفيم ضمير الشأن (ها) المحولة عن هي؛ ليطلق للمتلقي حرية التصور إلى تصورها على الشاكلة المقصودة؛ فهي ك (سراب) يرى لكنه ليس حقيقياً، إنها صورة مضللة يبدو معها هذا التشبيه لجهنم تخويفاً من شدة حرّها، وترهيباً من نارها حتى بدت سراباً كالطريق أو الفلاة أو الشارع وقت القيظ، فأراد المرسل أن يؤكد دلالة التشبيه ليدفع عن ذهن المتلقي شكّه في تيك الحقيقة.

أما التصوير الثالث فقد جاء للإخبار عن المؤمنين الذين شبهوا باللؤلؤ في البياض والنقاء والجمال والإبهار، وهو تصوير يكشف عن منظر بديع، وجه الشبه بين أولئك والحجر النفيس، خبر يحتاج إلى تأكيد، فدخل المورفيمان (أن) و(هم)، ثم ما كان من الرسالة إلا أن تستخدم مورفيم التشبيه (الكاف)؛ لتضفي ألقاً آخر على الخبر المؤكد في قولها: كأنهم اللؤلؤ للتأكيد على المضمون.

و) التوكيد بالمورفيم (لكنّ) الداخلة على الاسم:

يرى ابن يعيش أن «(لكنّ) المشددة و(لكن) الخفيفة»^(lxxvii) سيان في الاستدراك، وأن ما بعدهما يكون مخالفاً لما قبلهما، فالخفيفة يوجب بها بعد نفي، وليس كذلك بالمشددة، فإنها تدخل على جملة تصرفها إلى الاستثناء، ولشبهها بالخفيفة لا يكون ما بعدها إلا مخالفاً لما قبلها، مغايراً له، وتقع بعد النفي والإثبات، فإن كان ما قبلها موجباً كان ما بعدها منفيّاً، وإن كان ما قبلها منفيّاً كان ما بعدها موجباً؛ لأن ما بعدها كلام مُستغن، فمعناه يُبنى عن المغايرة، ولا حاجة إلى الأداة النافية، بل إن كان حسن، وإلا فلا ضرورة إليه^(lxxviii).

ومن السياقات القدسية التي دخل فيها المورفيم (لكنّ) على الاسم:

الحديث: أول ما يُقضى عليه يوم القيامة ثلاثة: شهيد، وعالم، ومتصدّق، فيسألهم ربّ العزة عن أعمالهم، فيقول الأول: «قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ»^(lxxix)، ويقول الثاني: «تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ»^(lxxx)، ويجب ثالثهما: «مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ»^(lxxxi)، فيردّ عليهم مولانا عزّ وجلّ زعمهم بالأقوال الآتية:

- «... كَذَبْتُ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ»^(lxxxii) جملة سطحية → --- (أنت قاتلت لأن يقال

جرىء) جملة عميقة

- ومثله قوله: «... كَذَبْتُ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ...» (lxxxiii) جملة سطحية → --- (أنت تعلمت ليقال عالم) جملة عميقة
- ومنه قوله -عليه السلام-: «... كَذَبْتُ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ» (lxxxiv) جملة سطحية --- → (أنت فعلت [أي: أنفقت] ليقال هو جواد) جملة عميقة
- وقوله: «كُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتْهُ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ» (lxxxv) جملة سطحية → --- (كلنا نكره الموت، والمؤمن إذا بُشِّرَ... أحب) جملة عميقة
- وقوله: «... وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» (lxxxvi) جملة سطحية --- → (تري الناس سكارى، وعذاب الله شديد) جملة عميقة

إن دخول المورفيم (لكن) على الجمل السابقة قد حوّل التركيب من البنى العميقة إلى البنى السطحية؛ ليربط ما قبلها بما بعدها، ويثبت دلالة الأخبار التي قصدها الخطاب، وهي: القتال، والعلم، والإنفاق في سياقات احتيجت إلى المورفيم (لكن) الذي جعل من الخبر ما بعده يغير ما قبله ويناقضه، فأُنزل المتلقي منزل الشاكّ في تلقي الحقيقة الخيرية؛ وجاء (لكن) ليظهر الحقيقة للعيان، ويكشفه، فيزيل الشك، ويضع الخبر موضع اليقين. فإذا وقفنا على الجملة: (أنت قاتلت...) مثلاً، فسنجد أنها جملة خبرية اعتيادية، أفادت معلومة للمتلقي بأنّ فلاناً شهيداً يقاتل في سبيل الله، بينما عند دخول (لكن) عليها وقع الإثبات على القتل بطريقة ليست كما وقعت في ذهن المتلقي، بل بحقيقة مغايرة، فهو قد كذب في قتاله، فلم يقاتل دفاعاً عن الإسلام أو صديقاً للعدو في سبيل الله، بل قاتل من أجل أن يذيع صيته بين الناس بأنه شجاع، وهذه الحقيقة يؤكدتها المخاطب بوجود (لكن)، وهنا تبرز المفارقة. ونحوها في الجمل المتقابلة قبل عملية التحويل وبعدها، فثمة فرق بين (أنت تعلمت العلم فأنت عالم)، و(كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم)، فالأولى أعطت حقيقة خبرية، أما الثانية نفت لتعطي حقيقة مغايرة. ونحوها في المثال الذي يليه: (أنت أنفقت فأنت جواد)، و(كذبت، ولكن أنفقت فأنت جواد).

إذ تنكشف الحقيقة المغايرة كذلك في السياقين السابقين، الأول منهما: الأول منهما: «كُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتْهُ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ»، والثاني: «... وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». من حيث إن كراهية الموت يجمع عليها البشري يؤكد ذلك لفظة (كلنا)، ففي الجملة خبر حق لا ريب فيه، ثم يكمل السياق لتلك الحقيقة بالمورفيم (لكن)؛ ليعطي عكسها، وهي حب الإنسان المؤمن للقاء الله، ولا يتم لقاء الأحبة إلا بمآب الروح إلى بارئها، فالله تعالى قد بشره برحمة ورضوان وجنة، فاستثنى المؤمنين من خبر كراهية الموت إلى حب لقاء الله.

أما المفارقة الثانية فتتضح في قوله -عليه الصلاة والسلام- بالجمل العميقة: (الناس سكارى، وما هم بسكارى، وعذاب الله شديد) فهي جمل إخبارية، تفيد الأولى منها إثبات حال الخلق يوم القيامة بأنهم سكارى، في حين تنفي الثانية خبر الأولى عنهم الذي يحتاج إلى معنى ثالث يربط بين تناقضهما، ويسوغ تقابلهما، إذ عجزت الجملة عن فعل ذلك مع ما تلاها من جملة ثالثة، حين كانت على حالتها الإخبارية أي بحال جملة عميقة، فهي لم تعط إلا خبراً بشدة عذاب الله، بينما قدمت في

حالتها السطحية؛ أي بدخول المورفيم (لكن)، ربطاً دقيقاً للجمل الثلاثة، لتعطي مفهوماً تأكيدياً أحال الناس ساعتها بالشعور بالسكر رغم أنهم ليسوا كذلك بسبب عذاب الله تعالى.

ثانياً: التوكيد بالقصر

عدّ نحاة العربية^(lxxxvii) دخول (ما) مع (إن) من أساليب القصر، ورأوا أن مجيء (ما) أو (لا) مع (إلا) أسلوب استثناء مفرغ، في حين عدّهما البلاغيون^(lxxxviii) من أساليب القصر، وهو من أبواب علم المعاني، ورأوا أن القصر هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص^(lxxxix)، وللقصر قسيمان: القسم الأول وهو المقصور، وقسيمه الثاني المقصور عليه، فيقصر الموصوف على الصفة، أو تقصر الصفة على الموصوف، وللقصر طرائق أشهرها: «يأتي في باب الاستثناء عند الكلام عن الاستثناء المفرغ في نحو قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(xc) وقوله جلّ جلاله: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(xci)، ذلك أحد وجهي القصر، وإحدى طرائقه، أما الوجه الآخر الذي يأتي في باب (إن) إذا دخلت عليها (ما) التي يزعمون أنها تكفيها عن العمل، فيكون الكلام إما قصر صفة على موصوف، أو قصر موصوف على صفة، مثل قوله تعالى^(xcii): ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(xciii).

وقد ماز صاحب الإعجاز بين أسلوب القصر بـ(ما وإلا)، وبـ(إنما) في عبارته القائلة: «أما الخبر بالنفي والإثبات، نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنَ الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(xciv) إنما جاء -والله أعلم- بالنفي والإثبات؛ لأنه لما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنَ الْقُبُورِ﴾، وكان المعنى في ذلك أن يقال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الآباء، ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم مع إصرارهم على كفرهم، واستمرارهم على جهلهم، وصددهم بأسماعهم عما تقول لهم، وتتلوه عليهم، كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبي -صلى الله عليه وسلم- حال من قد ظنّ أنه يملك ذلك، ومن لا يعلمه يقيناً أنه ليس في وسعه شيء أكثر من أن ينذر، ويحذر، فأخرج اللفظ مخرجه، إذ كان الخطاب مع من يشك، فقل: إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ^(xcv). وأكمل قائلاً: «اعلم أن موضوع (إنما) على أن تحيي الخبر ما لا يفهمه المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك: أنك تقول للرجل إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقره، إلا أنك تريد أن تنبه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب، ومثاله في التنزيل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يُخْشَاهَا﴾^(xcvi)، كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم، وذلك أن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال له، وكذلك معلوم أن الإنذار إنما يكون إنذاراً، ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله، فأما الكافر والجاهل فالإنذار وترك الإنذار معه واحد^(xcvii). والمخاطب بأسلوب القصر لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة؛ إما أن يكون معتقداً عكس رأي ما، أو شاكاً فيه، والحالة الثالثة أن يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في هذا الحكم^(xcviii).

بناءً عليه؛ فإن أسلوب القصر من أساليب التوكيد في الجملة التي تحمل عدة معان تستشف من هدف الخطاب في الجمل الاسمية، فصلها في الآتي:

(أ) القصر بالمورفيم (إنما):

ذهب السكاكي^(xcix) إلى أن هذا الحرف يتكون من (إن) و (ما). أما (إن) فلتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة؛ حيث ناسب أن يُضمّن معنى القصر؛ لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد. إذ يرى الخطيب القزويني^(c) أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى ما وإلا، لقول المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾^(ci) معناه: ما حرّم عليكم إلا الميتة... ولقول النحاة: إنما لإثبات ما يُذكر بعدها، ونفي ما سواها^(cii)، وجاء في معنى اللبيب ما يعضد ذلك ونصّه: «إنما هي لتوكيد الكلام إثباتاً كان أو نفياً»^(ciii)، ويرى البلاغيون أن القصر إنما تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة^(civ). على أن المورفيم (إنما) يفيد التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بـ(إن) وحدها؛ لأنه «غالباً ما يكون في سياق فيه إنكار وجحد، فيحتاج إلى درجة عالية من توكيد الخبر»^(cv)

ومن السياقات القدسية التي وردت فيها (إنما) دالة على القصر، مقدمة وظيفة التأكيد قوله -صلى الله عليه وسلم-:

- « يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثم أُوفيكم إياها، فمن وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمِدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(cvi) جملة سطحية → --- (هي أعمالكم...) جملة عميقة

- وقوله: «لو أن أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد، فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمينته، فأعطيت كل سائل منكم ما سأل، ما نقص ذلك من ملكي، إلا كما لو أن أحدكم مرّ بالبحر، فعمس فيه إبرة، ثم رفعها إليه، ذلك يأتي جواً ما جد، أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري إذا أردته أن أقول له: كُنْ، فيكون»^(cvii). جملة سطحية → --- (أمري إذا أردته...) جملة عميقة

إن دخول المورفيم (إنما) على الجمل العميقة، وظهورها في البنيات السطحية الآتية: (إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم)، و(إنما أمري إذا أردته أن أقول له: كُنْ، فيكون) جاء ليسبك عناصر الكلام، ويربط ما قبله بما بعده، ويظهر الدور الدلالي في إخراجها مخرج الظاهر المعلوم الذي لا يُنكر ولا يُخفى، فالأعمال أعمالنا، والأمر الصادر من المولى إرادته النافذة، هما خبران لا يجهلها المتلقي، ولا يحتاج فيها لإعلام، بحال البنيتين اللسانيتين العميقتين: (هي أعمالكم)، و(أمري إذا أردته)، أي قبل عملية التحويل ودخول (إنما) عليهما.

لقد أفاد التركيب في الجملة السطحية (إنما هي أعمالكم) الحصر، كأن نقول: (ما هي إلا أعمالكم)؛ أي: ما الأعمال التي تقومون بها إلا أعمالكم، محصورة عليكم، يحصيها الله تعالى لكم، وهذا أمر معروف في ذهن المخاطبين، لا ينكرونه، من حيث إن الجملة العميقة: (هي أعمالكم) هي حقيقة ثابتة يعلمها الجميع، لكنهم ألفوا أعمالهم، حتى غدت موضع العادة أو الطبع، لذا احتاجوا إلى التنبيه على أن هذه الأعمال سواء أكانت خيراً أم شراً من صنعكم، واحتاجوا إلى التذكير؛ حتى يجعلوها في ميزان حسابهم، ويراقبوها، ويهذبوها؛ إذ ثمة من يحصيها لهم، ثم يوفيهم إياها.

في حين أفاد التركيب في الجملة السطحية الثانية: (ما أمري إلا إذا أردته) التعريض وردّ الشيء إلى حقيقته، فالأمر إرادة الله عزّ وعلا، وما عداه ليس شيئاً، كما جاء في السياق القرآني: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (cviii)، يقول الجرجاني في ذلكم: «ليس الغرض من قوله تعالى أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار، وأن يقال أنهم من فرط العناد، ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل. فإذا أسقطت من الآية (إنما) فقل: يتذكر أولو الألباب، كان مجرد وصف لأولي الألباب، بأنهم يتذكرون، ولم يكن فيه معنى نفي للتذكر عمن ليس منهم، فالتعريض وقع بمدح إنسان بالتيقظ، وبأنه فعل ما فعل، وتنبه لما تنبه لعقله، ولحسن تميزه كما يقال: كذلك يفعل، وهكذا يفعل الكريم» (cix). وقياساً على ذا يمكن القول في: (إنما أمري إذا أردته)؛ فهو من قبيل التعريض، إذ إنّ الله تعالى يريد أن يرجع الأمر كله عطاء وعذاباً إلى إرادته النافذة المهيمنة، مقابل ما بيد الناس من عطاء وعذاب، وكأتهما مقيدان أمام عطاء الله أو عذابه النافذين، فالعطاء والعذاب إنما هما إرادة الله بكلمة منه، إنه بهذا التركيب السطحي ينزل المتلقي منزلة الجاحد المنكر لتلك الحقيقة، وذلك باستخدام أسلوب القصر بـ(إنما): الجملة العميقة: (أمري إذا أردته) من غير (إنما) لا يُرجى معها المقصود من الخطاب.

(ب) القصر بالمورفيم (إلا) مع المورفيم (ما) أو المورفيم (لا):

عدّ علماء اللغة -نحاة وبلاغيون- النفي بالمورفيمين (ما) أو بـ(لا) مع مورفيم الاستثناء (إلا) من صور القصر، بل أكثر أساليب القصر شيوعاً واستعمالاً، ولا يكون هذا التركيب الجُمليّ إلا في الاستثناء المفرغ، ولا يمكن وقوعه في الموجب من الكلام (cx)، وسبق أن بيّنا أنّ القصر من الأساليب الدالة على تأكيد مضمون الرسالة المراد إيصالها إلى ذهن المتكلم. إذ يرى سيبويه أن «الوجه الذي كون فيه الاسم بمنزلة قَبْل أن تُلحق (إلا) هو أن تُدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه» (cxi)، وهو بذلك يشير إلى أن المورفيم (إلا) أفاد حصر ما بعد (ما) أو (لا)، ونفى أي صفة أخرى تتعلق به، وقد صرح الزركشي بهذا الأمر بقوله: «معنى (إلا) اللّازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره» (cxii)، وعلى ذلك أُطلق على المورفيم (إلا) في الاستثناء المفرغ أداة حصر؛ لأنه يحصر به حكم ما قبله في ما بعده (cxiii).

ومن السياقات القدسية التي ذكرت فيها هذا النوع من القصر قوله -صلى الله عليه وسلم-:

- وقوله: «ما من حاكمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَلَكَ آخِذٌ بِقَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِنْ قَالَ: أَلْقِهِ، أَلْقَاهُ فِي مَهْوَاةٍ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً.» (cxiv) جملة سطحية → --- (حاكم يحكم... جاء يوم القيامة) جملة عميقة
- ومثله: «ما لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ» (cxv) جملة سطحية → --- (لعبدتي المؤمن... الجنة) جملة عميقة
- ومنه قوله: «اعْمَلُوا وَأَبْشَرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ أَوْ كَالرَّمَةِ» (cxvi) في ذراع الدابة» (cxvii) جملة سطحية → --- (أنتم كالشامة...) جملة عميقة
- «... فادعوا، وما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ...» (cxviii) جملة سطحية → --- (دعاء الكافرين في ضلال) جملة عميقة

إن دخول مورفيم النفي (ما) أو (لا) مع مورفيم الاستثناء (إلا) على التركيب العميق حصر الأخبار في المبتدآت، وخصّها عن غيرها من الأخبار؛ للتأكيد عليها للمتلقي الذي أنزل منزلة المنكر للخطاب، فالجاء الوارد في الحديث الأول أمر محتوم أكد لكل حاكم كان يحكم بين الناس في الدنيا؛ إذ يلقي ما يلقي يوم القيامة، دون أن يحلّ أحد مكانه، وربما يسعف الجملة قبل الزيادة والتحويل: (الحاكم جاء يوم القيامة...) أن تقدم وظيفة الإخبار، لكنها بلا ريب تؤدي في الحصر والاختصاص دلالة الرسالة بمراد آخر هو أبعد عمقاً وأكثر إبلاغاً، وذلك هو أن لا فعل غير المحيي.

ونرى في الجملة السطحية الثانية: (ما لعبدي المؤمن جزاء إلا الجنة) أنها تنفي كل جزاء للعبد الذي آمن بمعبوده، ليكون استحقاقه الجنة، بل لا شيء غير الجنة، فحصرت الجنة في الجزاء، وكأنه إطلاق لعنان التخيل لما في الجنة من نعيم، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كل ذلك جزاء للعبد المؤمن، وتشريفاً له، فقد نُسبت صفة العبودية للذات الإلهية تشريفاً وتكريماً لهذا المؤمن، ولو كانت الجملة العميقة: (جزاء عبدي المؤمن الجنة) هي المستخدمة في السياق؛ لكانت جملة خبرية، ليس فيها حصر أو قصر أو اختصاص للخبر، وهو ما لا يبتغيه المرسل.

أما في التعبير القدسي الثالث في الجملة السطحية: (ما أنتم إلا كالشامة...)، ما أنتم إلا كالرقمة...) فإن الخطاب فيه يتوجه إلى الحصر والاختصاص، حصر الشامة والرقمة في جنب البعير أو الشاة، ولا شيء غيرهما، فحتى لا يتوجّه التفكير إلى صفة أخرى استخدم المرسل هذا الأسلوب، ولم يقل: (أنتم كالشامة...)، وأنتم كالرقمة...)، إن الخطاب لم يأت من أجل التشبيه فحسب، إنما جاء للتشبيه والحصر، فإذا قيل: أنتم كال... سيذهب التخيل إلى صفات كثيرة؛ ليشبه أنتم في تلكم، لكن اقتصر على الشامة أو الرقمة في التشبيه؛ لبيان أن الشامة شيء لاف للنظر وإن كانت مساحتها قليلة مقارنة بجسم الشاة أو البعير، لكنها واضحة بارزة، وأنتم كذلكم بين الآخرين، وإن كنتم أقلّة.

ويبيّن أسلوب القصر بمورفيم النفي (ما)، ومورفيم الحصر (إلا) في الجملة للحديث الآخر: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أن في الخطاب تبكيتاً وإفحاماً، وتثيت فكرة، ونفي غيرها في ذهن المصّر على ضلاله وخطئه، إذ طُلب منهم أن يدعوا: (ادعوا) كما تشاءون، وكيفما تريدون، لكن (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)، فصعقتهم الحقيقة، من حيث إن الخبر المحصور (الضلال) يقابل الدعاء الذي لا فائدة منه، ولا هدي لإنجازه، ولا رشد في إتمامه، ذلكم الدعاء الذي هو مقصدهم في ذاك الوقت العصيب، فهو لم يقل لهم: (دعاء الكافرين ضلال) بالجملة العميقة المجردة من النفي والحصر؛ لأنها جملة خبرية لا تؤدي الدلالة المستهدفة من وراء الخطاب، إذ ثمة فرق بين أن يقال لهم: (دعاء الكافرين ضلال)، وبين: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)، من حيث إن الجملة العميقة لا تحصر المسند في المسند إليه، فقد يتبادر لذهن السامع أن الدعاء مسموع أو مرفوض أو غير مقبول... وغيره من الإخبارات، لكن الجملة السطحية نفت كل خبر قد يتبادر للذهن ساعة استخدام الخطاب كلمة (ضلال) ليكون هو الخبر المناسب للمبتدأ في أسلوب القصر مع المورفيمين (ما و إلا).

وبعد كلّ ذلك؛ فلا عجب أن يستثمر الخطاب القدسي الحواريّ هذا الأسلوب (أسلوب الحصر) بين العبد وربّه في إقرار الألوهية له عز وجلّ وحده، وتمثّل هذه الدلالة في كثير من الأحاديث القدسية، نأخذ على سبيل التمثيل:

- «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا اللَّهُ أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي» (cxix)

ونحلله في الآتي:

- قوله: «العبد: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. الرب: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» جملتان سطحيّتان → (الإله الله) (الإله أنا) جملتان عميقتان
 - وقوله: «العبد: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. الرب: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي» جملتان سطحيّتان → (الإله الله وحده) (الإله أنا وحدي) جملتان عميقتان
 - وكذلك قوله: «العبد: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ. الرب: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا شَرِيكَ لِي» جملتان سطحيّتان → (الإله الله وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ) (الإله أنا، وَلَا شَرِيكَ لِي) جملتان عميقتان
 - وقوله أيضاً: «العبد: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ. الرب: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ» جملتان سطحيّتان → (الإله الله، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ) (الإله أنا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ) جملتان عميقتان
 - وقوله: «العبد: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. الرب: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي» جملتان سطحيّتان → (الإله الله، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (الإله أنا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي) جملتان عميقتان
- فدخول مورفيم النفي (لا) ومورفيم الاستثناء (إلا) على الجمل السطحية آتفة الذكر أبرز الوظيفة الدلالية المرجوة من السياقات، وهي التوكيد والإقرار على حقيقة وحدانية الله -عزّ وعلا- فالعبد يقول مؤكداً حقيقة اعتقاده وإيمانه بأن (لا إله إلا الله)، والإقرار يصدق هذا التوكيد بالجواب: (صدق عبدي، لا إله إلا أنا)، ونحوه التأكيدات المتوالية بالمورفيمين الدالّين على اقتصار المسند على المسند إليه في قول العبد: (لا إله إلا الله وَحْدَهُ) و(لا إله إلا الله وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ)، و(لا إله إلا الله، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ)، و(لا إله إلا الله، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، فالمورفيم (لا) ينفي أي إله موجود على وجه الخليقة، لكن إقران (إلا) مع النفي يؤدّي إلى دلالة مغايرة تماماً للحقيقة السابقة، وهي أن لا إله موجود باستثناء الله تعالى، والعبارات: وحده، ولا شريك له، ولا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، زادت تأكيداً على تأكيد في قصر صفة الألوهية أو العبودية أو الحمد والملك أو الحول والقوة لهذا الإله وهو الله تعالى. ومن ثمّ نلاحظ الإجابات على تلكم التأكيدات بإقرار الحقيقة الأكدة في السياقات القدسية: (لا إله إلا أنا وَحْدِي)، و(لا إله إلا أنا، وَلَا شَرِيكَ لِي)، و(لا إله إلا أنا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ)، و(لا إله إلا أنا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي) بالأسلوب نفسه، باستخدام المورفيمين الدالّين على القصر والحصر والتوكيد والإقرار (لا) و(إلا)، فلو جردت السياقات السابقة من المورفيمين (لا) و(إلا) لما كانت تلكم السياقات تؤدّي الدلالة المطلوبة، نحسب أنّ فالجمله

العميقة: (الإله الله) ليس لها تعبير دلالي الجملة السطحية بعد التحويل والزيادة: (لا إله إلا الله)، وأن الجملة العميقة (الإله أنا)، لا تؤدي الدلالة التي تؤديها الجملة السطحية: (لا إله إلا أنا)، فالفرق جلي.

ثالثاً: التوكيد بالقسم

يقول سيبويه: «اعلم أن القسم توكيد لكلامك»^(cxx)، فهو يحول الجملة من خبرية عميقة ذات دلالة يسيرة إلى جملة سطحية تكشف عن دلالة تأكيدية، إنه يجاء به لتوكيد جملة ترتبط إحداها بالأخرى ارتباطاً جملتي الشرط والجزاء، يتكون أسلوب القسم من: الجملة المؤكدة، وهي جملة القسم والجملة المؤكدة^(cxxi)، وهي جواب القسم أو المقسم عليه، ويكون فيها في الإيجاب المورفيمان (إن) و(اللام)، وفي النفي المورفيمان (ما) و(لا)^(cxxii)، وجملة القسم هذه هي الموضع الذي يقصد توكيدها في الكلام الخبري، علماً أن الجملة القسمية تتصل بحروف مع المقسم به، فقد يتصل الباء أو الواو أو التاء، مثل: بالله، والله، تالله، أو بالفعل نحو: أقسم، أحلف... أو بألفاظ هي نص في القسم: لعمرك، يمين، الحق...^(cxxiii)

ومما جاء ذكره في القسم في الأحاديث القدسية دخولاً على الجملة الاسمية في قوله -صلى الله عليه وسلم- في فضل مكانة الصائم عند الله عز وجل ونصه:

- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، خَلَقْتُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(cxxiv) جملة سطحية → --- (خَلَقْتُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ) جملة عميقة

- وقوله: «فَوَالَّذِي مَحَمَّدٌ بِيَدِهِ، خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(cxxv) جملة سطحية → --- (خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ) جملة عميقة

في معرض كلامه -صلى الله عليه وسلم- عن بني أسلم وغفار اللتين ذكرتا في أكثر من حديثه، نحو: «أَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا وَأَمَّا إِنِّي لَمْ أَقْلَهَا، لَكِنْ قَالَهَا اللَّهُ -عز وجل-»^(cxxvi) ونصه: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ لَأَخَيْرَ مِنْهُمْ» جملة سطحية → --- (هم خير) جملة عميقة.

فقد جاء الأقرع بن حابس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائلاً: «إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ»^(cxxvii)؛ وذلك انتقاصاً من شأهم، فردّ عليه رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- بقوله: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ وَأَسَدَ وَغُظْفَانَ، أَخَابُوا وَخَسِرُوا؟.. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ لَأَخَيْرَ مِنْهُمْ»^(cxxviii)

ومنه قوله في سؤال عطاء بن يسار عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في التوراة، ونصه: «وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ (أي: محمد عليه الصلاة والسلام) فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ»^(cxxix) جملة سطحية → --- (هو موصوف) جملة عميقة.

- ومنه: «وَاللَّهِ، لَهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْعَلَاةِ...»^(cxxx) جملة سطحية → --- (الله أفرح بتوبة عبده...) جملة عميقة

- ومثله: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَّصَارِعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرَ، وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُضْرَى» (cxxxii) جملة سطحية → ---- (ما بين المصراعين من مصارع الجنة، كما بين مكة وحيمير...) جملة عميقة

نلاحظ مما سبق أن المورفيم القسيمي (الواو) قد تفرد بالدخول إلى جملة القسم في العبارات آنفة الذكر، وأن الأسماء المقسمة بما بعد (الواو) هي: لفظ الجلالة (الله)، والذي نفسي بيده- وهو الله عز وجل، والذي نفس محمد بيده- وهو الله- كذلك وهي أسماء يقسم بها تعظيماً لقدر الله ومنزلته، فهو أعظم وأفضل من يُقسم به، إثباتاً لأمر ما أو نفياً لشيء ما، وقد أشار الرسول عليه صلوات الله في قسمه إلى الله الذي تكون نفسه أو نفس محمد بيده إشارة إلى الإقرار التام برب النفس التي خلقها، وببيده ناصيتها.

وقد أضاف أسلوب القسم من (الواو) والاسم الذي يليه تأكيداً واضحاً على المعلومة الخبرية التي يريد المرسل أن يؤديها، فيما لو كانت هذه الجمل خبرية قد أتت على حالتها الأولى قبل عمليتي التحويل و الزيادة، مع العلم أن ثمة مؤكدات أخرى قد دخلت على، مثل (لام) الابتداء، و (إن واللام)، نحو: (خُلِقْتُ أَوْ خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ)، و (إنهم لأخير منهم)، و (إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن)، و (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالقلّة) فزاد القسم عليها تأكيداً على تأكيد.

وكأنّ المخاطب في قسمه قد أنزل المتلقي أو غير المنكر منزلة المنكر فأكد له بأكثر من تأكيد؛ بهدف إيصال الدلالة من وراء الغرض الإخباري، فالصائم الذي امتنع عن الطعام والشراب في دنيا مليئة بالملذات قد استجاب امتثالاً لأمره عزّ وعلا كان لا بدّ له من تطمينات تأتي على شكل مؤكدات تدخل على ذلكم الثواب (الجزاء)؛ ولهذا فقد احتيج إلى القسم لتعظيم مكانة الصائم يوم الثواب الأعظم، وثم إن خبر التفضيل (أقوام على أقوام) ساق إلى التأكيد بأسلوب القسم إضافة إلى إن واللام؛ لبيان حقيقة باتت كالشمس واضحة، لا مجال لنكرانها. كما أنّ تأكيد خبر وصف النبي محمد عليه الصلاة والسلام في التوراة ببعض صفاته في القرآن جاء أسلوب القسم إضافة إلى اللام، ذلك أن نزول التوراة كان قبل آلاف السنين من نزول القرآن، ومن المعروف أن نصوص التوراة قد دخلها التحريف في غير موضع، فلم لا تُحرف صفات النبي المذكورة فيه؛ لذا وجب التأكيد بأكثر من مؤكد، لا سيما القسم؛ حتى لا يدع أدنى شك في نفس المخاطب بأن الكتابين وصفا النبي صلى الله عليه وسلم بصفات مماثلة، بل ما جاء في التوراة كان بعضاً مما نزل في القرآن.

وأن الخبر الواقع عليه القسم في جملة: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالقلّة)، جاء تأكيداً من المخاطب على الفرح بتوبة المتلقي، وترغيباً له بأن التوبة ما هي إلا قمة الإقرار بعبوديته لله، واعترافه بأنه بيده الغفران وحده، وعودة الضال إلى هاديه، وأوبة العاصي إلى من عصاه، وهو دليل على فرحة الخالق بتوبة مخلوقه كما مثله أسلوب التشبيه بفرحة عودة دابة أحدنا أو ضالتنا بعد التيقن من ضياعها وعدم رجوعها.

وعليه؛ فإننا نقول: إن دخول المورفيمات سابقة الذكر على الجملة الاسمية في الأحاديث القدسية قد قدمت وظيفة دلالية مقصودة، سعى إليها المرسل سعياً من أجل تقديم دلالة إعجازية، تعجز الجمل العميقة أن تقدمها من غير تلك المورفيمات.

-
- i - لمزيد من التفاصيل حول المآخذ التي سجلتها المدرسة التوليدية على منهج المدرسة الوصفية البنيوية ينظر:
أبو عاصي، حمدان رضوان، التطورات المنهجية والنظرية للنظرية التوليدية في نصف قرن، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 4، العدد 3، 2007م ، 128
- ii - Chomsky Noam, **Studies on Semantic in Generative Grammar**, The Hague Mouton 1972
- iii - ينظر: باقر؛ مرتضى جواد، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ط1، دار الشروق، 2002م. 57
- iv - Chomsky Noam, **Cartesian linguistic**, New York and London Harper and Row, seuil: 1969.p.62
- v - Chomsky Noam, **Cartesian linguistic**, p.62
- vi - الحناش، محمد، البنيوية في اللسانيات (الحلقة الأولى) ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1401هـ - 1980م .88. ينظر: سميح، أبو مغلي، في
فقه اللغة وقضايا العربية، دار مجدلاوي، عمان، 1987، 81.
- vii - ينظر: في فقه اللغة وقضايا العربية، 78.
- viii - ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1419هـ - 1998م، 53 وما بعدها.
- ix - ينظر: في فقه اللغة، 81.
- x - ينظر: في فقه اللغة: 78.
- xi - أيوب؛ عبد الرحمن، وعمر؛ أحمد مختار، محاضرات في اللغة، مجلة القاهرة، بغداد، ع14 آب، 1968، 67.

- xii - ينظر: الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، سورية، 1988م. 364. عون، نسيم، الألسنية، محاضرات في علم الدلالة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2005م. (الهامش)، 129. لانسون، ماييه، منهج البحث في الأدب واللغة، نقله الى العربية محمد مندور، دار العلم للملايين، 1946م، اهداءات أسرة د. عبدالرحمن بدوي، 2002م. 68. ومطلوب؛ أحمد، مصطلح اللسانيات، مجلة لغة الضاد، منشورات المجمع العلمي، 1999، 110/2.
- xiii - ينظر: خليل، حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، "دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000م، 127 وما بعدها.
- xiv - ابن عقيل (ت769هـ)؛ بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بغداد، ط14، 1986م، 190/2.
- xv - ينظر: القزويني (ت739هـ)؛ الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، ط1، 1980م، 92-93. المخزومي؛ مهدي، في النحو العربي - نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1964م، 234. وعباس؛ فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني - دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط7، 2000م، 115.
- xvi - ينظر: ابن عقيلا، شرح ابن عقيل، 214/2 وما بعدها.
- xvii - ينظر: سيبويه (ت180هـ)؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، 131/2. المبرد (ت285هـ)؛ أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 107/4. ابن السراج (ت316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، بغداد، 1973م، 278/1. الزركشي (ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980، 405/2. الصبان (ت1206هـ)؛ محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 269/1.
- xviii - عمارة؛ خليل أحمد، في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1987م، 217.
- xix - الأحاديث القدسية دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، القاهرة، مصر، 2003م، 81.
- xx - الأحاديث القدسية، 250.
- xxi - الأحاديث القدسية، 23.
- xxii - الأحاديث القدسية، 345 (حديث الشفاعة).
- xxiii - الأحاديث القدسية، 25 حديث (كثرة قول النبي - صلى الله عليه وسلم - سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، وأتوب إليه).
- xxiv - الأحاديث القدسية، 384 حديث (الشفاعة).
- xxv - سورة النصر، 1-3.
- xxvi - الأحاديث القدسية، 384.
- xxvii - الأحاديث القدسية، 384 حديث (الشفاعة).
- xxviii - الأحاديث القدسية، 360.
- xxix - الأحاديث القدسية، 96.
- xxx - الأحاديث القدسية، 96.
- xxxi - الأحاديث القدسية، 374.
- xxxii - الأحاديث القدسية، 128.
- xxxiii - الأحاديث القدسية، 374.
- xxxiv - الأحاديث القدسية، 26.

xxxv - الأحاديث القدسية، 250

xxxvi - الأحاديث القدسية، 301-302

xxxvii - الأحاديث القدسية، 26

xxxviii - الأحاديث القدسية، 250

xxxix - الأحاديث القدسية، 301-302

xl - في الجمل الثلاثة الأولى تقدم الخبر على مبتدئه وجوباً؛ لتحقق الشرطان، وهما: أولهما مجيء المبتدأ نكرة، وثانيهما كون الخبر شبه جملة.

xli - الأحاديث القدسية، 215 حديث (ما يكون من الفتن)

xlii - الأحاديث القدسية، 257 حديث (ما جاء في طلب موسى الاجتماع بالخضر -عليهما السلام-)

xliii - الأحاديث القدسية، 87 حديث (ما جاء في أن الحشية من الله تعالى والخوف منه من أسباب مغفرة الذنوب)

xliv - الأحاديث القدسية، 87

xlvi - الأحاديث القدسية، 146 حديث (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة هو صلاته).

xlvii - الأحاديث القدسية، 170 حديث (دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمتة عشية عرفة بالمغفرة)

xlviii - الأحاديث القدسية، 208 حديث (الإنكار على الإسراف في القصاص، وإنما القصاص من الجاني).

xlix - الأحاديث القدسية، 208

l - الأحاديث القدسية، 291 حديث (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)

l - ينظر: ابن يعيش (ت643هـ) موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 25/9. وابن هشام الأنصاري (ت761هـ)؛ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، 228/1

li - يسميها النحاة البصريون (لام الابتداء) ينظر: سيبويه، الكتاب، 276/2. الأزهرى (ت905هـ)؛ خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، تصحيح ومراجعة، لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى، دار الفكر، بيروت، 222/1. وعند الكوفيين واقعة في جواب قسم مقدر؛ لذا سموها ب(لام القسم) أو (لام اليمين). ينظر: الأنباري (ت577هـ): كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ط2، 1953م، 299/1

lii - الرماني (ت384هـ)؛ أبو الحسن علي، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح شلي، دار الشروق، جدة، ط3، 1984م، 41.

liii – الزركشي (ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980م، 471/2

liv – [6:الرعد] .

lv – [46:فصلت].

lvi – ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 228/1

lvii – الجرجاني (ت471هـ)؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، 252

lviii – الأحاديث القدسية، 170. عشية عرفة دعا النبي صلى الله عليه وسلم – لأمتة بالمغفرة، فكان لإبليس ذاك الموقف، كارهاً مقهوراً ممتنعاً بأن يُغفر لأمة محمد – صلوات الله عليه – فضحك الرسول مما فعل، فسأله أصحابه عن سرّ ضحكك في ذلك، فأجابهم مؤكداً ونافياً استبعاد مثل هذا الخبر فقال: «إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لما عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجَابَ دُعَائِي وَعَفَّرَ لَأُتِّي، أَخَذَ الثَّرَابَ، فَجَعَلَ يَخْتُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي ما رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ» سبق شرحه.

lix – أي: المغاضب المجادل. ابن منظور، اللسان، (رغم)

lx – الأحاديث القدسية، 202 حديث (ثواب قبض الولد) باب (من جاء فيمن أصيب بسقط)

lxi – الأحاديث القدسية، 202 حديث (ثواب قبض الولد)

lxii – الأحاديث القدسية، 287 حديث (إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره)

lxiii – الأحاديث القدسية، 287

lxiv – الأحاديث القدسية، 307 حديث (يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار من ذريتك)

lxv – الأحاديث القدسية، 308

lxvi – الأحاديث القدسية، 376 حديث الشفاعة

lxvii – الأحاديث القدسية، 221 حديث (إن عبداً أصاب ذنباً فقال: ربّ أصبت ذنباً)

lxviii – في حديث (يلقى العبد ربه. يقول رب العزة له: أم أكرمك، وأسودك، وأزوجك...؟ فيقول: لا، فيقول: فيني أنساك كما نسيتني). الأحاديث القدسية، 395

lxix – الأحاديث القدسية، 21 حديث (ما جاء في فضل ذكر الله تعالى وكلمة التوحيد)

lxx – ينظر: الأتباري، الإنصاف، 197/1. وابن منظور، لسان العرب، (أنن)

lxxi – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (أنن) . والخطيب؛ طاهر يوسف، المعجم المفصل في الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، 342

lxxii – يحشرون إلى جهنم كأنها سراب، 367 ، حديث (الشفاعة)



lxxiii - الأحاديث القدسية، 366 حديث (الشفاعة)

lxxiv - الأحاديث القدسية، 345 حديث (الشفاعة)

lxxv - عتقاء الرحمن من النار.

lxxvi - الأحاديث القدسية، 347 ، حديث (الشفاعة)

lxxvii - نستثني (لكن) الخفيفة لأنها دخلت على الفعل، واسم الفعل في السياقات القدسية: «ولكن اتوا خليل الرحمن... ولكن اتوا موسى... ولكن اتوا محمداً» (ص351). و: «ولكن عليكم موسى... ولكن عليكم عيسى... ولكن عليكم محمداً...»، 356، تعد (لكن) حرف عطف، واختلف البصريون والكوفيون في جواز العطف بها بعد الإيجاب. للمزيد ينظر: الأنباري، الإنصاف، 488-484/2

lxxviii - ينظر: ابن يعيش (ت643هـ)؛ الشيخ موفق الدين، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، 80/8. اختلف البصريون والكوفيون في جواز العطف بلكن بعد الإيجاب. للمزيد ينظر: الأنباري، الإنصاف، 488-484/2

lxxix - الأحاديث القدسية، 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxx - الأحاديث القدسية، 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxi - الأحاديث القدسية، 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxii - الأحاديث القدسية، 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxiii - الأحاديث القدسية، 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxiv - الأحاديث القدسية، 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxv - الأحاديث القدسية، 291 حديث (من أحب لقاء الله أحب لقاءه)

lxxxvi - الأحاديث القدسية، 307 حديث (يقال يوم القيامة لآدم -عليه السلام- أخرج بعث النار من ذريتك)

lxxxvii - ينظر: المبرد، (ت285هـ)؛ أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، 389/4. وابن يعيش، شرح المفصل، 87/2.

lxxxviii - ينظر: الجرجاني (ت471هـ)؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م، 328. والسكاكي (ت626هـ)؛ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، ط1، 1981م، 507. الزركشي (ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبد الله، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980، 149/3.

lxxxix - ينظر: القزويني (ت739هـ)؛ الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 122-123. وطبانة؛ بدوي، معجم البلاغة العربية، جامعة طرابلس، كلية التربية، 1975م، 709/2. وعباس؛ فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها-علم المعاني-، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1987م، 372.

xc - يس، 15

xc i - فاطر، 23

xc ii - التوبة، 28

xc iii - ينظر: الجواري؛ أحمد عبد الستار، نحو المعاني، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1987م، 120-130 بتصرف.

xc iv - فاطر، 22، 23

xc v - الجرجاني، دلائل الإعجاز، 333-334

xc vi - النازعات، 45

xc vii - الجرجاني، دلائل الإعجاز، 330-331 بتصرف

xc viii - ينظر: عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، 378

xc ix - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 126

c - ينظر: الإيضاح، 125

ci - [173:البقرة]

c ii - الجواري، نحو المعاني 125

c iii - ابن هشام، ص 308

c iv - ينظر: القزويني، الإيضاح، 130. الهاشمي، جواهر البلاغة، 155

c v - ينظر: سيبويه، الكتاب، 128/2.

c vi - الأحاديث القدسية، 251، حديث (حرمت الظلم على نفسي)

c vii - الأحاديث القدسية، 252، حديث (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)

c viii - الزمر، 9



cix - الجرجاني، دلائل الإعجاز، 333-357 بتصرف

cx - ينظر: سيبويه، الكتاب، 223/4. المبرد، المختضب، 118/4. وابن يعيش، شرح المفصل، 107/8. ابن هشام، مغني اللبيب، 296/2. الاسترادي (ت686هـ)؛ أبو محمد عبدالله بن جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، شرح الرضي على الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980، 221/2، 226/1

cxi - الكتاب، 310/3

cxii - الزركشي، الاتقان في علوم القرآن، 241/4

cxiii - ينظر القزويني، الإيضاح، 125.

cxiv - الأحاديث القدسية، 158، حديث (التغليظ في الخيف والرشوة)

cxv - الأحاديث القدسية، 201، حديث (ثواب قبض الولد)

cxvi - الرَّقْمَةُ تعني: الهُتَّةُ الناتئة في ذراع الدَّابَّة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها، وقيل الرقمتان اللتان في باطن ذراعي الفرس، لا تبتنان الشعر. والمرقوم من الدواب: الذي في قوائمه خطوط كَيَات. وفي التهذيب: المرقوم من الدواب الذي يكوى على أَوْطَفَتَيْهِ، كَيَات صغاراً، فكل واحدة منها رَقْمَةٌ. وينعت بها الحمار الوحشي لسواد على قوائمه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقم)

cxvii - الأحاديث القدسية، 309 حديث (يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار من ذريتك)

cxviii - الأحاديث القدسية، 435 حديث (يلقى على أهل النار الجوع)

cxix - الأحاديث القدسية، 23-24 حديث (إذا قال العبد: لا إله إلا الله، يقول الله: صدق عبدي)

cxx - الكتاب، 104/3

cxxi - ذهب علماء العربية إلى أن جملة القسم تكون جملة فعلية أو اسمية وفق تقدير المحذوف، مثل: (أقسم بالله، ولعمرك (قسمي)... المحذوف ما بين القوسين. للمزيد ينظر: سيبويه، الكتاب، 104/2، 497/3. ابن يعيش، شرح المفصل، 91/9. ابن عصفور (ت669هـ)؛ أبو الحسن علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق عبد الله الجبوري وصاحبه، مطبعة العاني، بغداد، 1971م، 204/1. المالقي (ت102هـ)؛ أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1975م، 171. ابن أم قاسم المرادي (ت749هـ)؛ حسن بن قاسم بن عبد الله، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق طه محسن، بغداد، 1976م، 117، 144، 185. شعير؛ محمد رزق، الجمل المحتملة للاسمية والفعلية، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، مصر. (د.ت)، جملة القسم 85 وما بعدها

cxxii - سيبويه، الكتاب، 104/3

cxxiii - للمزيد: ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، 90/9 وما بعدها

cxxiv - الأحاديث القدسية، 162 حديث (الصيام لي، وأنا أجزي به)

cxxv - الأحاديث القدسية، 163 حديث (الصيام لي، وأنا أجزي به)

cxxvi - الأحاديث القدسية، 264 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxvii - الأحاديث القدسية، 265 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxviii - الأحاديث القدسية، 265-266 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxix - الأحاديث القدسية، 196 حديث (صفة النبي صلى الله عليه وسلم - في التوراة)

cccc - الأحاديث القدسية، 255 حديث (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري)

cccxix - الأحاديث القدسية، 358 حديث (الشفاعة)